البَابُ الثَّاني

رسائلُ عمرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ

الفَصْلُ الأوَّلُ
رَسائلُ فِكْريَّةٌ

١ ـ رسالةٌ من عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلى الخَوارجِ:

أنساب الأشراف ٨: ٢٠٩

وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٥٦

والعيون والحدائق ٣: ٤١

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٩٥

والكامل في التاريخ ٥: ٤٥

خَرَج بِسْطامُ[١] بنُ مُرَيٍّ أيامَ عمرَ بنِ عبدِ العزيز بن مَرْوَانَ، فَقال لأصْحابِه: يا أخلاَّئي[٢]، إنكم قد بَايَنْتُم[٣] قَوْمَكُمْ في وَلايةِ[٤] هذا الرَّجلِ، وهو يأمرُ بالعَدْلِ ويُظهِرُهُ، ويعملُ به، فأعْذِرُوا[٥] فيما بينَكُمْ وَبَيْنَهُ، وادْعُوه إلى أمْرِكم. فكَتَبُوا إليه فعظَّمُوا طاعةَ الله وأمْرَهُ، وعَابُوا[٦] الظُّلْمَ وأهْلَهُ، وأكْفَرُوا أهلَ الكبائِرِ، وَبرِئُوا[٧] منهم، ودَعَوْهُ إلى رَأْيِهم، وإلى البَراءةِ من علي وعثمانَ وردِّ[٨] أحكامِ عثمانَ، وما حَكَمَ بهِ عليٌّ بعدَ الحَكَمَيْنِ، واسْتأذَنُوهُ[٩] في أنْ يُوَجِّهُوا[١٠] مَنْ يُناظِرُهُ[١١] وَيُحاجُّهُ[١٢] على أنْ يؤمِّنَهُ[١٣].

---

(١) هو من بني يَشْكُرَ، ولَقَبُهُ شَوْذَبٌ، وبه يُذْكرُ في بعض المصادر.

(انظر أنساب الأشراف ٨: ٢٠٩، وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٥٥، والكامل في التاريخ ٥: ٤٥).

(٢) الأخلاَّء: جمع خليلٍ، وهو الذي أصْفَى المودَّةَ وأصَحَّها، أو المُحِبُّ الذي ليس في مَحَبَّتِه خَلَلٌ.

(٣) بَايَنَهُ: فارَقَهُ.

(٤) الولاية بالفتح: النُّصْرَةُ والنَّسَبُ، والوِلاية بالكسر: الإمارة والسُّلْطان.

(٥) أعْذرَ الرجلُ: أبْدَى عذراً، أو كان منه ما يُعْذَرُ به، أو صار ذا عُذْرٍ، أو بلغَ أقْصَى الغاية في العُذْرِ، أي في كَوْنِهِ معذوراً.

(٦) عابَ الشيءَ: ذَمَّه وأنكَرَهُ، وعَاب الرَّجلَ: تَنَقَّصَهُ وَلامَهُ.

(٧) بَرِئَ منه: تَخَلَّصَ وتَنَزَّه وتَباعَدَ.

(٨) رَدَّ حُكْمَهُ: نَقَضَهُ وأبْطَلَهُ.

(٩) استأذَنه: سأله أنْ يأذنَ له، أي أنْ يُبِيحَهُ ويُخَلِّه.

(١٠) وَجَّهَ الرَّجُلَ: أرْسَلَهُ.

(١١) ناظَرْتُه في الأمر: جادلته، أو نَظَرَ وَنَظَرْتَ كيف تأتيانه؟.

(١٢) حاجَّهُ: نَازَعَهُ وخاصَمَهُ.

(١٣) أمَّنه: أعْطاهُ الأمان، أي جَعَلَ له ذِمَّةً وحُرْمَةً يَتحَرَّمُ بها، أي يَمْتَنِعُ.

فكتبَ عمرُ إليهم:

«إلى العِصابةِ[١] الذينَ خَرجُوا بِزَعْمِهم[٢] التماسَ[٣] الحَقِّ، أمَّا بعدَ ذلك: فإنَّ الله لم يَلْبِسْ[٤] على العبادِ أمورَهم، ولم يَتْرُكْهُم سُدَى[٥]، ولم يَجْعَلْهُمْ في عَمْيَاءَ[٦]، فبعثَ إليهم النُّذُرَ[٧]، وأنْزَلَ عليهم الكُتُبَ، فَبعَثَ محمداً ﷺ رحمةً للعالَمين بَشِيراً ونَذِيراً، وأنزلَ عليه كتاباً حَفيظاً[٨] ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[٩]، فيه عِلْمُ ما يأْتُونَ وما يَتَّقُونَ[١٠]، فأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وشُكْرِ نِعْمَتِهِ، والاعْتِصَامِ[١١] بِحَبْلِهِ[١٢]، والتَّوَكُّلِ[١٣] عليه، فإنَّه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[١٤]، وقد بَلَغني كِتَابُكُمْ، وما دَعَوْتُمْ إليه، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ﴾[١٥]، وقد خَابَ[١٦] من دُعِيَ إلى الحَقِّ ولم يُجِبْ.

---

(١) العصابة: جَماعة ما بين العشرة إلى الأربعين.

(٢) الزعم: الظَّن، أو الكذب، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا بِزَعْمِهِمْ﴾ (سورة الأنعام: الآية ١٣٦). أي بِقَوْلِهم الكذب. (اللسان: زعم).

(٣) الالْتِماسُ: الطَّلَبُ. والتَّلَمُّس: التَّطلُّب مَرَّةً بعدَ أخرى.

(٤) لَبَسْتُ الأمْرَ: خَلَطتَ بعضَهُ ببعضٍ. وَلَبسَ عليه الامر: خَلَطَهُ عليه حتى لا يَعْرِفَ جِهَتَه.

(٥) السُّدَى: المُهْمَلُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾. (سورة القيامة: الآية ٣٦). أي يُتْرَكَ مُهْملاً غير مأمورٍ وغيرَ مَنْهِي. (اللسان: سدا).

(٦) العَمْياء: الجهالة والضَّلالَة، أو الغَواية واللَّجاجةُ في الباطل.

(٧) النُّذُر: جمع نذير، وهو الاسم من الإنذار، أي الإعلام والإبلاغ، ولا يكون إلاَّ في التخويف. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾. (سورة الملك: الآية ٦٧) أي إنذاري: وفيه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾. (سورة القمر: الآية ٣٠). أي إنذاراتي. (أساس البلاغة: نذر).

(٨) الحفيظ: المُحافظ والرقيب: أو المُوَكَّلُ بالشيءِ يَحْفَظُهُ.

(٩) سورة فُصلت: الآية ٤٢.

(١٠) يَتَّقون: يَتَجَنَّبون أو يَدَعُونَ ويَذَرُون.

(١١) الاعْتِصَام: الاسْتِمْسَاك والتَّحَصُّنُ.

(١٢) حَبْلُ الله: العَهْدُ، أو القرآن، أو الدِّين، أو الطَّاعة، أو إخْلاَصُ التوبة، أو الجماعة، أو إخلاص التوحيد، أو الإسلام، أقوالٌ للسَّلف يقرب بعضُها من بعض. (البحر المحيط ٣: ١٧).

(١٣) التَوَكُّلُ: الاعتماد.

(١٤) سورة الطلاق: الآية ٢.

(١٥) سورة الصف: الآية ٧.

(١٦) خَابَ: حُرِمَ وخسِرَ.

وذَكَرْتُم ما اعْتَقَدَ[١] اللهُ في عبادِهِ، وأمَرهُمْ به من الطَّاعةِ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[٢]. وسألْتُموني أنْ أحْكُمَ بالعَدْلِ، وأقومَ بالقِسْطِ[٣]، وفي الحَقِّ مَقْنَعٌ[٤] وفَوْزٌ[٥] ونَجاةٌ[٦] لمن عَمِلَ به، و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾[٧] فلكم التي سَأَلْتُمْ وباللهِ التَّوْفيقُ.

وسَأَلْتُموني رَدَّ ما حَكَمَ به مَنْ كانَ في صَدْرِ هذه الأُمَّةِ من الأَئِمَّةِ إلّا ما كانَ مِنْ حُكْمِ أبي بكرٍ وعمرَ وعلي قبلَ الحَكَمَيْنِ، وهم ومَنْ كان بَعْدَهُمْ مِنَ الأَئِمَّةِ كانُوا أَقْرَبَ عَهْداً برسولِ اللهِ ﷺ، وأصْحَابِهِ، واللهُ يَشْهَدُ على أحْكَامِهِم ويَعْلَمُها.

وسَأَلْتُموني الإذْنَ لكم في قُدومِ طائفةٍ[٨] منكم عليَّ، فَمَنْ أَحَبَّ ذلك منكم فليقْدِمْ آمِناً لا أحْجُبُهُ[٩] ولا أبْسُطُ[١٠] إليه يَداً، وإنِّي أَدْعُوكُمْ إلى اللهِ ورَسُولِهِ، وإقامةِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والإنابةِ[١١] إلى أمْرِ اللهِ، وأُذَكِّرُكُمُ اللهَ أنْ تُخالِفُوا كتابَ اللهِ وسُنَّةَ[١٢] نَبِيِّهِ، فقد بَيَّنَ لكمُ الهُدَى[١٣]، وأراكم البَيِّناتِ[١٤]،

---

(١) اعْتَقَدَ: فَرَضَ وأوْجَبَ وألْزَمَ.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٣) القِسْط: العَدْل.

(٤) المَقْنَعُ: الرِّضا.

(٥) الفَوْز: الظَّفَرُ بالخَيْرِ والنَّجاةُ من الشر.

(٦) النَّجاة: الخَلاصُ والسَّلامة.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٦٧.

(٨) الطائفة: الرجلُ الواحد إلى الأَلْف، أو الجماعة من الناس وتَقَع على الواحدِ.

(٩) حَجَبَهُ: مَنَعَهُ.

(١٠) بَسَط إليه يَدَهُ: مَدَّها لِيَبْطُشَ به. وفي التنزيل العزيز: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾. (سورة المائدة: الآية ٢٨)، أي ما أنا بِمُنْتَصِرٍ لنَفْسي، أو ما كنتُ لأَبْتَدِئَكَ بالقَتْلِ. (البحر المحيط ٣: ٤٦٢).

(١١) الإنابة: الرُّجُوع إلى الله بالتوبة.

(١٢) السُّنَّة في الأصْل: الطَّرِيقةُ والسِّيرة، وإذا أُطْلِقَتْ في الشَّرْع فإنما يُرادُ بها ما أمرَ به النبيُّ ﷺ ونَهَى عنه وندَبَ إليه قَوْلاً وفعْلاً مما لم يَنْطِقْ به الكتابُ العزيز. ولهذا يقال في أدِلَّةِ الشرْع الكتابُ والسُّنة، أي القُرآنُ والحديثُ. (اللسان: سنن).

(١٣) الهُدَى: الرَّشاد.

(١٤) البَيِّنات: جمع بَيِّنة، وهي الحُجَّة.

فاقْبَلُوا[١] أمرَ الله، وإيَّاكم والبِدَع[٢] والغُلُوَّ[٣] في الدِّين، والسُّؤالَ عما قد كُفِيتُمُوهُ[٤]، فقد سَبَقَ فيه من اللهِ ما قَد سَمِعْتُمْ من قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٥] فـ ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[٦] فإنْ تَقْبَلوا يَقْبَل اللهُ منكم، وإن تُعْرِضوا[٧] فإنَّ الله أمامَكُمْ ومن ورائِكم، فمن ذا يُعْجِزُ[٨] اللهَ و﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾[٩].

وقُلْتُمْ: لا حُكْمَ إلاَّ للهِ العَلِيِّ القَدِيرِ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١٠]».

٢ ـ رسالةٌ من عُمَرَ بنِ عبد العزيزِ إلى القَدَريّةِ:

حلية الأولياء ٥: ٣٤٦

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٨٥

كتبَ نَفَرٌ من القَدريَّةِ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيز بمقالتهم، فكتبَ إليهم:

«أما بَعْدُ، فإنكم كَتَبْتُمْ إليَّ بما كنتم تَسْتُرُونَ[١١] منه قَبْلَ اليومِ في رَدٍّ[١٢] علْمِ الله، والخُروجِ منه إلى ما كان رسولُ الله ﷺ، يَتَخَوَّفُ[١٣] على أُمَّتِه من

---

(١) قَبِلَ الأمرَ: رَضِيَ به.

(٢) البِدَعُ: جمع بِدْعَةٍ، وهي ما خَالَفَ أُصُولَ الشَّرِيعةِ ولم يُوافِقِ السُّنَّةَ.

(٣) الغُلُوُّ في الدِّين: مجاوزة الحد، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ سورة النساء: الآية ١٧١، أي لا تجاوزوا حدَّه. وفي الحَدِيث: «إياكُم والغُلُوَّ في الدِّين». أي التَّشَدُّد فيه ومُجاوزة الحدِّ. (اللسان: غلا).

(٤) كفاهُ الأمرَ: قام فيه مقامَهُ وأغْنَى عنه. والمقصود ما أغْنَاكُمُ الله تعالى عن السؤالِ عنه.

(٥) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٦) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٧) أعرض: صَدَّ ونأى بجانبه.

(٨) أعْجَزَه الشيء: أعْيَاهُ، أي عَجَزَ عنه ولم يَسْتَطِعْه. وأعجزني فلانٌ: إذا عَجَزْتَ عن طَلَبِهِ وإدراكِهِ.

(٩) سورة الأنفال: الآية ٢٢.

(١٠) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(١١) سَتَرْتُ الشيءَ: غَطَّيته، فاسْتَتَرَ هو وتَسَتَّر: أي تغطَّى. وتَسْتُرون منه: تكتمُونَهُ وتُخْفُونَهُ ولا تَجْرؤُون على إظهارِهِ.

(١٢) الرَّدُّ: الإنكار وضِدُّهُ القبول.

(١٣) تَخَوَّفَ الشيءَ كخافَهُ: أي خَشِيَه.

التَّكذيبِ بالقَدرِ[١]. وقد عَلِمْتُمْ أنَّ أَهْلَ السُّنةِ كانوا يَقُولونَ: الاعْتِصَامُ[٢] بالسُّنَّةِ[٣] نَجَاةٌ[٤]، وسَيُقْبَضُ[٥] العِلْمُ قَبْضاً سريعاً، وقول عمرَ بنِ الخَطَّاب، وهو يَعِظُ الناسَ: إنَّهُ لا عُذْرَ[٦] لأحدٍ عندَ اللهِ بعدَ البيِّنةِ بضلالةٍ[٧] رَكِبَها[٨] حَسِبَها هُدىً[٩]، ولا في هُدًى تَرَكهُ حَسِبَهُ ضَلالةً. قد تَبيَّنَت الأمورُ، وثَبَتَتِ الحُجَّةُ، وانقطَعَ العُذْرُ، فمن رغبَ[١٠] عن أنْباءِ النُّبوةِ، وما جاء به الكتابُ، تَقَطَّعَتْ[١١] من يَدَيْهِ أسبابُ الهُدَى، ولم يَجِدْ له عِصْمَةً[١٢] يَنْجُو[١٣] بها من الرَّدَى[١٤]. وإنكم ذكرتُم أنه بَلَغَكُم أني أقُولُ: إنَّ الله قد عَلِمَ ما العبادُ عَامِلونَ، وإلى ما هم صَائِرون، فأنكَرْتُم ذلك عليَّ، وقُلْتُمْ: إنه ليسَ يكونُ ذلك منَ الله في عِلْمٍ حتى يكونَ ذاك من الخَلْقِ عَمَلاً، فكيف ذلك كما قُلْتُم؟ والله تعالى يقول[١٥]: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾، يَعْني عائِدينَ في الكُفْر. وقال تعالى[١٦]: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ

---

(١) القَدَر: قضاءُ الله تعالى.

(٢) الاعْتِصَامُ: الاسْتِمْساكُ والتَّحَصُّنُ.

(٣) السُّنَّةُ في الأصل: الطريقة والسيرة. وإذا أُطْلِقَتْ في الشَّرْع فإنَّما يُرادُ بها ما أمَرَ به النبيُّ ﷺ، ونهى عنه ونَدَبَ إليه قَولاً وفعلاً. مما لا ينطق به الكتابُ العزيز. ولهذا يقال في أدلة الشرْع: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث. (اللسان: سنن).

(٤) النجاة: الخلاص والسلامة.

(٥) يُقْبضُ العلم: يَفْنى ويَزُول، أو يَنطمِسُ ويَنْقَطع.

(٦) العُذْرُ: الحُجَّة التي يُعْتَذَر بها.

(٧) الضَّلالة: الغيُّ والمَيْلُ عن الحَقِّ.

(٨) ركبَ الذنب: اقترفه، أو أتاهُ وفَعَلَهُ.

(٩) الهُدَى: الرَّشاد.

(١٠) رغب عن الشيءِ: تَرَكهُ مُتَعمِّداً وزَهِدَ فيه ولم يُرِدْهُ.

(١١) تقطَّعت من يَدَيْهِ أسْبابُ الهُدى: أي انْقَطعَتْ أسبابُهُ وَوُصَلُه.

(١٢) العِصمة: المَنَعةُ والوِقاية والحِفْظ.

(١٣) يَنْجُو: يَخْلصُ ويَسْلَمُ.

(١٤) الرَّدَى: الهلاك.

(١٥) سورة الدخان: الآية ١٥.

(١٦) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾. فزعمْتُمْ[١] بجهلكم في قَوْلِ الله تعالى[٢]: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ أنَّ المَشِيئةَ في أيِّ ذلك أحْبَبْتُمْ، فَعَلْتُمْ من ضَلالةٍ أو هُدىً، والله تعالى يقول[٣]: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾. فَبِمَشِيئةِ الله شاءُوا، ولو لم يَشَأْ لم يَنَالُوا بِمَشِيئَتهم من طاعتهِ شيئاً قَوْلاً ولا عَملاً، لأنَّ الله تعالى لم يُمَلِّكِ[٤] العِبادَ ما بيَده، ولم يُفَوِّضْ[٥] إليهم ما يَمْنَعُهُ[٦] من رُسُلِه، فقد حَرصَت الرسُل على هُدَى الناس جميعاً، فما اهتدى منهم إلا من هداه الله، ولقد حرص إبليس على ضلالتهم جميعاً، فما ضَلَّ إلاَّ مَنْ كان في عِلْم الله ضالاً. وزعمتُم بجهلكم أنَّ عِلْمَ الله تعالى ليس بالذي يَضْطَرُّ العباد[٧] إلى ما عملوا مِنْ مَعْصيتِهِ[٨]، ولا بالذي صَدَّهم[٩] عما تَركُوه من طاعتهِ، ولكنه بِزَعْمكم[١٠] كما عَلِمَ الله أنهم سيعملون بِمَعْصِيتِهِ، كذلك عَلِمَ أنهم سَيَسْتَطِيعُونَ تَرْكَها فجعلتم عِلْمَ الله لَغْواً[١١]، تقولون: لو شاءَ العبْدُ لَعَمِلَ بطاعة الله، وإنْ كان في عِلْم الله أنَّهُ غيرُ عاملٍ بها، وإنْ شاءَ تَرَكَ مَعْصِيَتَهُ، وإنْ كانَ في عِلْم الله أنه غيرُ تاركٍ لها، فأنتم إذا شئتم أصَبْتُموهُ[١٢] وكان عِلْماً، وإذا شئتم رَدَدْتُمُوهُ وكان جَهْلاً، وإنْ شئتم أحْدَثْتُمْ[١٣] من أنْفسكم عِلْماً ليس في عِلْمِ الله، وقَطَعْتُمْ به عِلْمَ الله عنكم. وهذا ما كان ابنُ عباسٍ يَعُدُّهُ للتَّوْحِيدِ

---

(١) زَعَمَ فُلانٌ أنَّ الأمر كيت وكيت زَعْماً: إذا شَكَكْتَ أنه حق أو باطلٌ، وأكثر ما يُستعمل في الباطل.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٣) سورة التكوير: الآية ٢٩.

(٤) لمْ يُمَلِّكِ العِبادَ ما بِيدِه: لم يُخَلِّ لهم، أي لم يَتْرُكْهُ ولم يَتَنازَلْ عنه.

(٥) فَوَّض الأمرَ إليه: صَيَّرَهُ إليه وَجَعَلَهُ الحاكم فيه.

(٦) مَنَعَهُ الشيءَ، ومَنَعَهُ منه وعنه: حَرَّمَهُ وحَجَرَهُ، أو حَجَبَهُ وحَظَرَهُ.

(٧) اضْطُرَّه إلى الأمر: ألْجَأهُ إليه أو أكْرَهَهُ عليه.

(٨) مَعْصية الله تعالى: مُخالفة أمْرِه وعَدَمُ طاعَتِهِ.

(٩) صَدَّهُ عن الأمرِ: مَنَعَهُ وصَرَفَهُ عَنه.

(١٠) الزعم: الظَّنّ والكذب.

(١١) اللَّغْوُ: السَّقَطُ وما لا يُعْتدُّ به من كلام وغيره، ولا يُحْصَلُ منه على فائدةٍ ولا نَفْعٍ، أو ما يَجْري في الكلام على غيرِ عَقْدٍ، أي بلا اعتقاد، أو لم يُعْقَدْ عليهِ القَلْبُ. ويقال: لغا في القَوْلِ لغواً، أي أخطأ وقال باطلاً.

(١٢) اسْتَصْوَبَهُ واسْتَصَابَهُ وأصَابَهُ: رآه صَواباً.

(١٣) أحْدَثَ الشيءَ: اسْتَحْدَثَهُ، أي أوْجَدَهُ وابتدَعَهُ.

نَقْضاً[١]، وكان يقول: إنَّ الله لم يَجْعَلْ فَضْلَهُ ورَحْمَتَهُ هَمَلاً[٢] بغير قَسْم[٣] منه ولا اختيارٍ، ولم يَبْعَثْ رُسُلَهُ بإبطالِ[٤] ما كان في سابق عِلْمِه. فأنتم تُقِرُّونَ[٥] في العِلْمِ بأمْرٍ، وتَنْقُضُونَهُ[٦] في آخر، والله تعالى يقول[٧]: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾. فالخَلْقُ صَائِرونَ إلى عِلْمِ الله تعالى، ونَازِلُونَ[٨] عليه، وليس بَيْنَهُ شيءٌ هو كائنٌ حجابٌ يَحْجُبُهُ عنه ولا يَحُولُ دُونَه، إنه عليم حكيم.

وقُلْتُمْ: لو شاءَ اللهُ لم يَفْرِضْ[٩] بعملٍ بغيرِ ما أخْبَرَ اللهُ في كتابِهِ عن قَوْمٍ، ولهم أعْمالٌ من دونِ ذلك هُمْ لها عاملون، وأنه قال[١٠]: ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فأخْبَرَ أنَّهم عامِلُونَ قَبْلَ أنْ يَعْمَلُوا، وأخبَرَ أنه مُعَذِّبُهُمْ قَبْلَ أنْ يُخْلَقُوا. وتقولونَ أنتم: إنَّهم لو شاؤوا خَرَجُوا مِنْ عِلْمِ الله في عَذَابِهِ إلى ما لم يعلمْ مِنْ رَحْمتِهِ لهم، ومَنْ زَعَمَ ذلك فقد عادَى كتابَ الله بردٍّ. ولقد سَمَّى الله تعالى رجالاً من الرُّسُلِ بأسْمائِهم وأعْمالِهم في سابقِ عِلْمِه، فما استطاعَ آباؤهم لتلك الأسماءِ تَغْيِيراً[١١]، وما استطاعَ إبليسُ بما سَبَقَ لهم في عِلْمِه من الفَضْل تَبْدِيلاً[١٢]،

---

(١) النَّقْضُ: الهَدْمُ والنَّكْثُ.

(٢) الهَمَلُ: السُّدى المَتْرُوكُ ليلاً أو نهاراً. وما تَرَكَ الله النَّاسَ هَمَلاً: أي سُدًى بلا ثوابٍ ولا عقابٍ. وقيل: لم يتركهم سُدًى بلا أمْرٍ ولا نهيٍ ولا بيانٍ لما يحْتاجُون إليه.

(٣) القَسم: التقدير.

(٤) الإبْطال: الإلغاء. وبَطَلَ الشيءُ: ذَهَبَ ضياعاً وخُسْراناً، وأبْطَلَهُ: ذَهَبَ به وأضاعَهُ.

(٥) أقرَّ بالشيء: اعْتَرَفَ به.

(٦) نقضَ الشيء: نَكَثَهُ. والمراد تَرُدُّونَهُ ولا تَقْبَلُونَه.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٨) نَزَلَ عن الأمر: تركه. ونَزَل على أمْرِه: انْقَادَ له وعَمِلَ به، أو أطاعَهُ ولَزِمَهُ. وفي حديثِ الجهاد: «لا تُنْزِلْهُمْ على حُكْمِ اللهِ ولكن على حُكْمِك». أي إذا طلبَ العدوّ منك الأمانَ والذمامَ على حكم اللهِ فلا تُعْطِهم، وأعْطِهم على حُكْمِك، فإنَّك رُبَّما تخطئ في حُكْمِ اللهِ تعالى ولا تَفِي به فتأثم. (اللسان: نزل).

(٩) فَرَضَ: أوْجَبَ.

(١٠) سورة هود: الآية ٤٨.

(١١) التَّغْيِيرُ: التَّحْوِيلُ والتَّبْدِيلُ.

(١٢) التَّبْدِيلُ: تَغْيِيرُ الشَّيءِ عن حاله، أو إزَالَةُ الشَّيْءِ وجَعْلُ شيءٍ آخرَ مكانَه.

فقالَ[١]: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾، فالله أعزُّ في قُدْرتِهِ وأمْنَعُ من أنْ يُمَلِّكَ أحداً إبْطالَ عِلْمِهِ في شيءٍ من ذلك، فهو مُسَمًّى لهم بِوَحْيِهِ الذي لا يأتيهِ البَاطِلُ من بينِ يَدْيهِ ولا من خَلْفِه، أوْ أنْ يُشْرِكَ في خَلْقِهِ أحداً، أوْ يَدْخلَ في رحمته من قد أخْرجَهُ[٢] منها، أو أنْ يخرجَ منها مَنْ قد أدْخَلهُ فيها. ولقد أعْظَمَ[٣] بالله الجَهْلَ مَنْ زعم أنَّ العِلْمَ كانَ بعدَ الخَلْقِ، بل لم يزلِ اللهُ وَحْدَهُ بكلِّ شيءٍ عليماً، وعلى كلِّ شيءٍ شهيداً، قبل أنْ يَخْلُق شيئاً، وبعدَما خلق، لم يَنْقُصْ عِلْمُهُ في بَدْئِهم، ولم يَزِدْ بعد أعمالهم، ولا بجوائحِهِ[٤] التي قَطَع[٥] بها دابرَ ظُلْمِهم، ولا يَمْلكُ[٦] إبليسُ هُدى نَفْسِهِ، ولا ضَلالَةَ غيرِهِ. وقد أردْتُم بِقذف[٧] مقَالتكم إبْطالَ عِلْمِ الله في خلقه، وإهْمالَ عبادتهِ، وكتابُ الله قائمٌ يَنْقُضُ بِدْعَتَكُمْ[٨] وإفْرَاطَ[٩] قذْفِكم. ولقد عَلِمْتُم أنَّ الله بعثَ رَسُولَهُ والناسُ يومئذٍ أهْلُ شِرْكٍ، فَمَنْ أرادَ الله له الهُدَى لم تَحُلْ[١٠] ضَلالَتُهُ التي كانَ فيها دون إرادةِ الله له، ومن لم يُرِدِ الله له الهُدَى، تَرَكَهُ في الكُفْرِ ضالاً، فكانتْ ضلالَتُهُ أوْلى من هُدَاهُ. فَزَعَمْتُمْ أنَّ الله أثبتَ[١١] في قُلوبِكم الطَّاعةَ والمعْصِيَةَ، فعملتم بِقُدْرتكم بطاعتهِ، وتَركتُمْ بِقُدْرتكم مَعْصِيَتَهُ، وأنَّ الله خِلْوٌ[١٢] مِنْ أنْ يكونَ

---

(١) سورة ص: الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٢) أخْرَجه من رحمته: حَرَمه إياها وَطَرَده منها.

(٣) أعْظَمَ الشيء: عَظَّمه، أي كَبَّرَهُ. والمراد غَلاَ فيه وجاوزَ الحَدَّ.

(٤) الجَوائح: جمع جائحةٍ، وهي الشِّدَّةُ والنَّازلةُ العظيمة التي تَجْتَاحُ المالَ من سَنَةٍ أو فِتْنةٍ، أي تَسْتاصِلُهُ. وقيل: الجائحة المصيبة تَحُلُّ بالرَّجُلِ في ماله فَتَجْتَاحُهُ كلَّه، أي تأتي عليه.

(٥) قطَع بها دَابِرَ ظُلْمِهم: أي اسْتَأصَلَهُ جميعاً، وَدابرُ الشيء: آخِرُه.

(٦) يملك: يَستطيع أو يقدر.

(٧) القَذْف: الرَّمي والطَّرْحُ والإلْقاء.

(٨) البِدْعة: ما خالفَ أُصولَ الشَّرِيعةِ ولم يُوافِقِ السُّنةَ.

(٩) الإفراط: الإسْرَاف والإعجال ومجاوزة القَصْدِ.

(١٠) لم تَحُلْ: لم تَمْنَعْ.

(١١) أثبت: أقامَ.

(١٢) الخِلْو: الخالي، أي الخارج.

يَخْتَصُّ أحداً بِرَحْمتِهِ، أو يَحْجُز[١] أحداً عن مَعْصِيته. وزعمتم أنَّ الشيءَ الذي بِقدَرٍ إنما هو عندكم اليُسْرُ[٢] والرَّخاءُ[٣] والنِّعْمَةُ[٤]، وأخْرَجْتُمْ[٥] منه الأعمال، وأنكرتم[٦] أنْ يكونَ سَبَقَ لأحَدٍ من الله ضلالةٌ أو هُدىً، وأنكم الذين هَدَيْتُمْ أنْفُسَكم مِنْ دُونِ الله، وأنكم الذين حَجَزْتُموها عن المَعْصِيةِ بغير قُوَّةٍ من الله ولا إذْنٍ منه. فَمَنْ زعم ذلك فقد غَلا[٧] في القَوْلِ، لأنه لو كان شيءٌ لم يَسْبِقْ في عِلْمِ الله وقَدَرِهِ، لكانَ لله في مُلْكِهِ شريكٌ يُنْفِذ[٨] مَشِيئتهُ في الخَلْقِ من دون الله، والله سُبحانَهُ وتَعالى يقول[٩]: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ و هم له قبل ذلك كارهون، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[١٠]، وهم له قبلَ ذلك مُحِبُّون، وما كانوا على شيءٍ من ذلك لأنفسهم بِقَادِرِينَ. ثم أخْبَرَ بما سَبَقَ لمحمدٍ ﷺ من الصلاة عليه والمَغْفرة له ولأصحابِهِ، فقال تعالى[١١]: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، وقال تعالى[١٢]: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. فلولا عِلْمُهُ ما غَفَرَها الله له قَبْلَ أنْ يَعْمَلَها، فَضْلاً سبَق لهم من اللهِ قبلَ أنْ يُخْلَقُوا، ورضواناً عنهم قبلَ أنْ يُؤمِنُوا. ثم أخْبَرَ بما هم عَامِلُونَ آمِنُونَ قبلَ أنْ يَعْمَلُوا، وقال[١٣]: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، فَتقولون أنتم إنهم قد كانوا مَلكُوا رَدَّ ما أخْبَرَ الله عنهم أنهم

---

(١) حَجَزَهُ عن المعصية: مَنَعَهُ، أو حال بينه وبينَها.

(٢) اليُسر: السُّهولة والغنى.

(٣) الرَّخاء: سَعَةُ العَيْش.

(٤) النِّعْمة: الخَفْضُ والدَّعةُ والمال.

(٥) أخرجْتُمْ منه الأعمال: اسْتَثْنَيْتُموها منه ولم تُدْخِلُوها فيه.

(٦) أنكرْتم: لم تُقِرُّوا ولم تَعْتَرِفُوا، أو لم تَقْبَلُوا ولم تَرْضَوْا.

(٧) غلا في القَوْل: جاوَزَ فيه الحَدَّ وأفرَطَ.

(٨) يُنْفِذ: يُمْضي.

(٩) سورة الحجرات: الآية ٧.

(١٠) سورة الحجرات: الآية ٧.

(١١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(١٢) سورة الفتح: الآية ٢.

(١٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.

عاملونَ، وأنَّ إليهم أنْ يُقيموا[١] على كُفْرِهم مع قَوْلِه، فيكون الذي أرادُوا لأنفسهم من الكُفْرِ مَفْعولاً، ولا يكونُ لِوَحْيِ الله فيما اختارَهُ تَصْدِيقاً[٢]، بل لله الحُجَّةُ البالغةُ[٣]، وفي قَوْلِهِ تعالى[٤]: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾، فَسَبَقَ لهم العَفْوُ من الله فيما أخَذُوا قبلَ أنْ يُؤذَنَ لهم، وقُلْتُم: لو شَاؤوا خَرَجُوا من عِلْمِ الله في عَفْوِه عنهم إلى ما لم يعلمْ من تَرْكِهِمْ لما أخَذُوا، فمن زعمَ ذلك فقد غَلاَ وكَذب. ولقد ذكرَ الله بشراً كثيراً وهم يومئذٍ في أصْلابِ الرِّجالِ وأرْحامِ النساءِ، فقال[٥]: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، وقال[٦]: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، فَسَبَقَتْ لهم الرَّحْمَةُ من الله قبلَ أن يُخْلقُوا، والدعاءُ لهم بالمَغْفِرةِ، ممن لم يَسبقْهُمْ بالإيمان من قَبْلِ أنْ يَدْعُوا لهم. ولقد عَلِمَ العالمونَ بالله أنَّ الله لا يشاءُ أَمْراً، فَتَحُولُ[٧] مشيئَةُ غيرِهِ دونَ بلاغِ[٨] ما شاءَ. ولقد شاءَ لِقَوْمِ الهُدَى فلم يُضِلَّهم[٩] أحَدٌ، وشاءَ إبليسُ لِقَوْمِ الضَّلالَةِ فاهْتَدوا، وقال لموسى وهارون[١٠]: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، وموسى في سابقِ عِلْمِهِ أنه يكونُ لِفرعَوْنَ عَدُوّاً وحَزَناً[١١]، فقال تعالى[١٢]: ﴿وَنُرِى فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾، فَتَقُولونَ أنتم: لو شاءَ فِرْعَوْنُ كانَ لِموسى وَلِيّاً[١٣]

(١) أقام على كفر: دام عليه وثبَت.

(٢) التصديق: التحقيق.

(٣) البالغة: النافذة.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٨.

(٥) سورة الجمعة: الآية ٣.

(٦) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٧) تحول: تمْنَعُ.

(٨) البلاغ: البلوغ، أي الوصُول والانتهاء.

(٩) أضَلَّه: أغْوَاهُ وأمالَهُ عن الحقِّ.

(١٠) سورة طه: الآيتان ٤٣، ٤٤.

(١١) الحَزَنُ والحُزْن: الهَمُّ.

(١٢) سورة القصص: الآية ٦.

(١٣) الولي: الصَّديق والنصير.

وناصراً، والله تعالى يقول[١]: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾. وقلتم: لو شاء فِرْعَوْنُ لامْتَنَعَ[٢] من الغَرقِ، والله تعالى يقول[٣]: ﴿إِنَّهُم جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾، مثبتٌ ذلك عنده في وَحْيِهِ في ذِكْرِ الأَوَّلين، كما قال في سابقِ عِلْمِه لآدم قَبْلَ أنْ يَخْلقَهُ[٤]: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فصار إلى ذلك بالمَعْصِية التي ابْتُلِيَ[٥] بها، وكما كان إبليسُ في سابقِ عِلْمِهِ أنه سيكونُ مَذْمُوماً[٦] مَدْحُوراً[٧]، وصار إلى ذلك بما ابْتُلِيَ به من السُّجُودِ لآدم فأبَى، فَتَلقَّى[٨] آدم التَّوْبةَ[٩] فَرُحِمَ، وتَلقَّى إبْلِيسُ اللَّعْنَةَ[١٠] فَغَوى[١١]، ثم أهبط[١٢] آدم إلى ما خلق له من الأرض مَرْحُوماً مَتُوباً عليه، وأهبطَ إبليس بِنَظْرتِهِ مَدْحُوراً مَذْمُوماً مَسْخُوطاً[١٣] عليه. وقُلْتم أنتم: إنَّ إبليس وأوْلياءَه من الجِنِّ قد كانوا ملكوا رَدَّ عِلْمِ الله والخُروجَ مِنْ قَسَمِه الذي أقْسَمَ به إذْ قال[١٤]: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ حتى لا يَنْفُذَ له عِلْمٌ إلاَّ بعدَ مَشِيئتهم. فماذا تُريدُونَ بِهلكةِ[١٥] أنفسكم في رَدِّ عِلْمِ الله؟ فإنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لم يُشْهِدْكُمْ[١٦] خَلْقَ أنفسكم، فكيف يُحِيطُ[١٧] جَهْلُكُمْ بِعِلْمِهِ، وعِلْمُ الله ليس

---

(١) سورة القصص: الآية ٨.

(٢) امْتَنَعَ من الغَرق: منع نَفْسَهُ منه، أي عَصَمَها وحَفِظَها وَوَقاها.

(٣) سورة الدخان: الآية ٢٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٥) ابتلي: امْتُحِنَ واختبِرَ.

(٦) المذموم: المَلُوم.

(٧) المَدْحُور: المُقْصَى المَطْرُودُ، أو المَدْفُوعُ المُبْعَد.

(٨) تَلقَّى: اسْتَقْبَلَ.

(٩) التَّوْبة: الرُّجوع من الذَّنب.

(١٠) اللَّعْنَة: الاسم من اللَّعْن، وهو الإبْعَادُ والطَّرْدُ من الخَيْرِ.

(١١) غَوَى: ضَلَّ ومالَ عن الحقّ.

(١٢) أهبط: أنزل.

(١٣) مَسْخُوطاً عليه: مَغْضُوباً عليه.

(١٤) سورة ص: الآيتان ٨٤، ٨٥.

(١٥) الهَلَكة: الهلاك، أي العَطَبُ والتَّلَفُ.

(١٦) أشْهَدهُ الأمْرَ: أحْضَرَهُ إياه.

(١٧) أحاط به: عَلِمَهُ. وأحاط به عِلْماً: أتى على أقْصَى مَعْرفَتِهِ، أو أحْدَقَ عِلْمُهُ به من جميع جهاتِهِ وعَرَفَهُ.

بِمُقَصِّرٍ[١] عن شيءٍ هو كائنٌ، ولا يَسْبقُ عِلْمُهُ في شيءٍ، فيقدرُ أحدٌ على رَدِّه؟ فلو كنتم تَنتقِلون في كلِّ ساعةٍ من شيءٍ إلى شيءٍ هو كائنٌ، لكانت مَواقِعكُم[٢] عندَه. ولقد عَلِمَت الملائكةُ قبلَ خَلْقِ آدم ما هو كائنٌ من العباد في الأرضِ من الفسادِ وسَفْكِ[٣] الدماءِ فيها، وما كان لهم في الغَيْبِ من عِلْم، فكان في عِلْمِ الله الفسادُ وسَفْكُ الدماءِ. وما قالوا تَخَرُّصاً[٤] إلاَّ بِتَعْلِيمِ العليم الحَكيم لهم، فَظَنَّ ذلك منهم، وقد أنْطَقهم به. فأنكرتُمْ أنَّ الله أزاغَ[٥] قَوْماً قبلَ أنْ يَزيغُوا[٦]، وأضَلَّ قَوْماً قبلَ أنْ يَضِلُّوا، وهذا ممَّا لا يَشُكُّ فيه المؤمنون بالله أنَّ الله قد عَرَفَ قَبْلَ أنْ يخلقَ العبادَ مُؤمِنَهم من كافِرهم، وبَرَّهم[٧] من فاجِرهم[٨]، وكيف يستطيعُ عبدٌ هو عندَ الله مؤمنٌ أنْ يكونَ كافراً، أو هو عندَ الله كافرٌ أنْ يكونَ مُؤمناً؟ والله تعالى يقول[٩]: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، فهو في الضلالةِ ليس بخارجٍ[١٠] منها أبداً إلاَّ بإذنِ الله، ثم آخرون اتَّخذوا من بعد الهُدَى عِجْلاً جسداً فَضَلُّوا به فَعُفِيَ عنهم لعلهم يشكرون، فَصَارُوا مِنْ أُمَّةِ قَوْمِ موسَى أمةً يَهْدُونَ بالحقِّ وبه يَعْدِلُون، وصَاروا إلى ما سبقَ لهم أنَّ صالحاً رَسُولُهم، وأنَّ الناقةَ فِتْنةٌ[١١] لهم وَأنه مُمِيتُهم كُفَّاراً فَعَقَرُوها[١٢]. وكان إبليسُ فيما كانت فيه الملائكة من التَّسْبِيح[١٣] والعبادةِ،

(١) المُقَصِّر: العاجزُ يقال: قَصَّرَ عن الأمرِ، أي عَجَزَ عنه ولم يَنَلْهُ.

(٢) المواقع: الأماكنُ والمواضع التي تكونون فيها.

(٣) سَفْك الدِّماء: إراقَتُها وإجراؤها، أي القَتْلُ.

(٤) التَّخَرُّص: الكَذِبُ.

(٥) أزاغه الله: أمالَهُ عن الهُدَى والإيمان.

(٦) زاغ: مال عن الهُدَى والإيمان.

(٧) البَرُّ: الصَّادقُ الصَّالح الخَيِّر.

(٨) الفاجر: المُتْبِعُ في المَعَاصي والمَحارِم.

(٩) سورة البقرة: الآية ١٢٢.

(١٠) ليس بخارج منها: أي هو مُخَلَّدٌ فيها.

(١١) الفِتْنة: الاختبار والمِحْنة.

(١٢) عَقَرَ النَّاقة: نَحَرها.

(١٣) التَّسبيح: تَعْظيمُ الله وتَنْزِيهُهُ من كلِّ سُوءٍ.

ابْتُلِيَ فَعَصَى[١] فلم يُرْحَم، وابْتُلِيَ آدمُ فَعَصَى فَرُحِم، وهَمَّ آدمُ بالخَطِيئَةِ[٢] فَنسيَ، وهَمَّ يوسفُ بالخطيئةِ فَعُصِمَ[٣]، فأين كانت الاسْتِطَاعةُ عندَ ذلك؟ هل كانت تُغْني[٤] شيئاً فيما كان من ذلك حتى لا يكون؟ أو تُغْني فيما لم يكنْ حتى يكون؟ فَتُعْرَفُ لكم بذلك حُجَّةٌ، بل الله أعزُّ مما تَصِفُونَ وأقْدَرُ.

وأنكرتُم أنْ يكونَ سَبَقَ لأحدٍ من الله ضَلالَةٌ أو هُدىً، وإنَّما عِلْمُهُ بِزَعْمِكُمْ حافظٌ[٥]، وأنَّ المَشيئة في الأعْمالِ إليكم، إنْ شِئتُمْ أحْبَبْتُمُ الإيمانَ، فكنتم من أهْلِ الجنة، ثم جعلتم بِجَهْلِكُمْ حديث رسول الله ﷺ الذي جاء بهِ أهلُ السُّنَّةِ، وهو مُصَدِّقٌ للكتابِ المُنزَّلِ: أنه من ذَنْبٍ مُضاهٍ[٦] ذَنْباً خَبِيثاً في قَوْلِ النبيِّ ﷺ حينَ سألهُ عمر[٧]: أرَأيْتَ ما نَعمل أشَيْءٌ قد فُرِغَ[٨] منه أم شيءٌ نَأْتَنِفُهُ[٩]؟ فقال ﷺ: بل شيءٌ قد فُرِغَ منه. فَطَعنتُمْ بالتَّكْذيبِ له. وتَعْليمٌ من الله في عِلْمِهِ إذ قلتم: إنْ كنا لا نستطيعُ الخروجَ منه فهو الجَبْرُ، والجَبْرُ عندكم الحَيْفُ[١٠]. فَسَمَّيْتُمْ نَفاذَ[١١] عِلْمِ الله في الخَلْقِ حَيْفاً! وقد جاءَ في الخَبَرِ «أنَّ الله خَلَقَ آدَمَ، فَنَثَرَ ذُرِّيتَهُ في يَدِهِ، فكتَبَ أهْلَ الجنة وما هم عاملون، وكتبَ أهْلَ النارِ وما هم عاملون». وقال سهلُ بن حنيفٍ[١٢] يوم

---

(١) عَصَى: أي خالفَ أمْرَ رَبِّهِ ولم يُطِعْهُ.

(٢) الخطيئة: الذَّنْبُ على عَمْدٍ. والخطأ: الذَّنْبُ على غَيْرِ عَمْدٍ.

(٣) عُصِمَ: مُنِعَ وَوُقِيَ وحُفِظَ.

(٤) تُغْني: تَنْفَعُ أو تُجْزِئ.

(٥) الحافظ: الحفيظ، أي المُوَكَّلُ بالشيءِ يَحْفَظُهُ.

(٦) المُضَاهي: المُشَاكِلُ المُشابِهُ المُضَارِع.

(٧) انظر الحديث في مسند أحمد ابن حنبل ١: ٢٧.

(٨) فُرِغ منه: أي قُضِيَ.

(٩) استأنفَ الشيءَ واتَّنَفَهُ: اسْتَقْبَلَهُ، أو ابْتَدأه.

(١٠) الحيف: الميْل في الحكم والجور والظلم.

(١١) النفاذ: المضاء.

(١٢) سهْلُ بن حُنَيْف بنِ واهبٍ الأوسي الأنصاري: صحابيٌ شَهِدَ بدراً والمشاهِدَ كُلَّها مع رسولِ اللهِ ﷺ، وثَبَت يومَ أحُدٍ لما انهزمَ الناسُ، وكان بايعَهُ يومئذ على المَوْتِ. ثمَّ صَحِبَ علي بن أبي طالب، واسْتَخْلَفَهُ عليٌّ على المدينة حينَ خَرَجَ إلى البصرة، ثم استخلفه على البصرةِ بعد الجملِ، وشهد معه صفين، ثم وَلاَّهُ على فارس فأخرجه أهْلُها. ومات بالكُوفة سنة ثمانٍ وثلاثين. =

صِفِّين: أيها الناس: اتَّهِمُوا[١] آراءكُمْ على دِينكم، فوالذي نَفْسي بيدِهِ لقد رأيتنا يومَ أبي جَنْدلٍ[٢]، ولو نستطيعُ رَدَّ أمْرِ رسولِ الله ﷺ، لَرَدَدْنَاهُ، والله ما وضَعْنَا سُيُوفَنَا على عَوَاتِقنا[٣] إلاَّ أسْهَلَ[٤] بنا على أمْرٍ نعرفهُ قبلَ أمْرِكُمْ هذا.

ثم أنتم بِجَهْلِكم قد أظْهَرتُمْ دَعْوَةَ حَقٍّ على تأوِيلٍ[٥] باطلٍ[٦] تَدْعونَ الناسَ إلى رَدِّ عِلْمِ الله، فقلتم: الحَسَنَةُ من الله، والسَّيِّئَةُ من أنفسنا. وقال أئِمَّتُكم، وهم أهلُ السُّنَّةِ: الحَسَنةُ من اللهِ في عِلْمٍ قد سَبَقَ، والسَيئةُ من أنفسنا في عِلْمٍ قد سَبَق. فقلتم: لا يكونُ ذلك حتى يكون بَدْؤها من أنفسِنا كما بَدْءُ السَّيئاتِ مِنْ أنفسنا. وهذا رَدٌّ للكتابِ منكم، ونَقضٌ للدِّينِ، وقد قالَ ابنُ عباسٍ حينَ نَجَم[٧] القَوْلُ بالقَدَر: هذا أوَّلُ شِرْكِ هذه الأمَّةِ، والله لا يَنْتَهي بهم سُوءُ رأيهم حتى يُخْرِجُوا[٨] الله من أنْ يكونَ قَدَّرَ خَيْراً، كما أخْرَجُوهُ من أنْ يكونَ قدَّرَ شراً. فأنتم تَزْعُمونَ بِجَهْلكمُ أنَّ مَنْ كان في عِلْمِ الله ضالاً فاهْتَدَى، فهو بما مَلَكَ ذلك حتى كان في هُدَاهُ ما لم يكن الله عَلِمهُ فيه، وأنَّ مَنْ شرحَ[٩] صَدْرَهُ للإسلامِ، فهو بما فُوِّض إليه قبل أنْ يَشْرَحَهُ اللهُ له،

= (انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣: ٤٧١، ٦: ١٥، وطبقات خليفة بن خياط ١: ١٩٦، ٣٠٤، ٤٤٩، والتاريخ الكبير ٢: ٩٨، والمعارف ص: ٢٩١، والجرح والتعديل ٢: ١: ١٩٥، والاستيعاب ٢: ٦٦٢، وأسد الغابة ٣: ٣٦٤، وتهذيب الكمال ١٢: ٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢: ٣٢٥، وتاريخ الإسلام ٤: ٧١، والإصابة ٢، ٨٧، وتهذيب التهذيب ٤: ٢٥١، وتقريب التهذيب ١: ٣٣٦).

(١) اتهموا آراءكم على دينكم: أي تثبَّتوا في دينكم وتَشَبَّثُوا به.

(٢) هو أبو جندلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمر ومن بني عامرِ بن لؤيٍّ، أسلم وأخَذَهُ المشركون بمكة فقيَّدُوه. فَلَما تَمَّ الصُّلْح بينَ الرسول الكريم وسُهَيْل بنِ عمرو جاء يَرْسِفُ في الحديد، فلم يُطلَقْ سَراحُهُ، فعزَّ عليه ذلك، وخاف أنْ يَفْتِنَهُ كفارُ قريشٍ في دينه، فنصح بأن يَصْبِرَ ويحتسب.

(انظر تفصيل ذلك في السيرة النبوية ٣: ٣٣٢).

(٣) العواتق: جمع عاتِقٍ، وهو ما بين المنكب، أي مُجْتَمع رأسِ الكَتِف والعضد، والعُنُق.

(٤) أسْهَلَ بنا على أمْرٍ نَعْرِفُهُ: أي انْضَى بنا إلى أمْرٍ لا نُنْكِرُهُ.

انظر هذا القَوْلَ في طَبقات ابن سعد ٣: ٤٧٢.

(٥) التَّاويل: تَفْسِيرُ الكلامِ الذي تَخْتلفُ معانيه، ولا يَصِحُّ إلاَّ ببيانٍ غير لَفْظِه.

(٦) الباطل: الضَّلال والكذب.

(٧) نَجَمَ: نَبَتَ ونَشأ وظَهَرَ.

(٨) أخرجوا الله من أنْ يكون قَدَّر خيراً: جَرَّدُوهُ من القُدْرةِ على إرادةِ الخَيْرِ وفِعْلِهِ، أي عَطَّلوا مَشِيئته.

(٩) شَرَحَ صَدْرَهُ للإسلام: وَسَّعَهُ لِقَبُولِ الإسلام.

وأنه إنْ كان مُؤْمِناً فَكَفَر، فهو مما شاءَ لنفسِهِ، ومَلَكَ مِنْ ذلك لها، كانت مَشِيئَتُهُ في كُفْرِهِ أَنْفَذَ من مَشيئةِ الله في إيمانِهِ، بل أَشْهَدُ أنه مَنْ عَملَ حَسَنَةً فبغير مَعُونَةٍ[١] كانت من نَفْسِهِ عليها، وأنَّ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فبغيرِ حُجَّةٍ كانت له فيها، وأنَّ الفَضْلَ بِيَدِ الله يُؤْتِيه مَنْ يشاءُ، وأنْ لو أرادَ الله أنْ يَهْدي الناسَ جميعاً، لَنَفَذَ أَمْرُهُ فيمن ضَلَّ حتى يكون مُهْتدياً. فقلتم: بِمَشيئتِهِ شاءَ لكم تَفْويضَ الحَسَناتِ إليكم، وتَفْويضُ السيئاتِ أَلْقَى[٢] عنكم سابقَ عِلْمِهِ في أعمالِكم، وجعل مَشِيئَتَهُ تَبَعاً لِمَشيئتكم. وَيْحَكُمْ[٣]! فوالله ما أَمْضَى لبني إسرائيلَ مَشِيئَتَهم حينَ أَبَوْا أنْ يَأْخُذوا ما آتاهم بِقُوَّةٍ حتى نَتَقَ[٤] الجَبَلَ فَوقهم كأنه ظُلَّةٌ[٥]، فهل رَأَيتُمُوهُ أَمْضَى مَشِيئَتَهُ لمن كان في ضَلاَلَتِه حين أرادَ هُدَاهُ حتى صار إلى أنْ أَدْخَلَهُ[٦] بالسيف إلى الإسلام كَرْهاً[٧] بِمَوْضِعِ عِلْمِهِ بذلك فيه، أَمْ هل أَمْضَى[٨] لقومِ يونسَ مشيئَتَهم حين أَبَوْا أنْ يؤمنوا حتى أَظَلَّهم[٩] العَذابُ، فآمنوا، وقَبِلَ منهم، وردَّ على غيرهم الإيمانَ، فلم يَقْبَلْ منهم، وقال تعالى[١٠]: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾، أي عِلْمَ الله الذي قد خَلاَ في خَلْقِهِ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١١]. وذلك كانَ مَوْقِعَهم عندَهُ أنْ يَهْلِكوا بغيرِ قَبُولٍ منهم، بل الهُدَى والضَّلالةُ، والكُفْرُ والإيمان، والخَيْرُ والشَّرُّ

---

(١) المَعُونة: المساعدة والمُسَاعفة.

(٢) أَلْقَى عنكم سابقَ عِلْمِهِ في أعمالكم: وضَعَهُ وطَرَحَهُ، أو حَطَّه واسْقَطَه.

(٣) ويحٌ: كلمةُ تَرَحُّم وتَوَجُّع، وهي تُرْفَعُ على الابتداء، تقول: وَيْحٌ لزيدٍ، وتُنْصَبُ على المَصْدريَّةِ أو بإضْمار فِعْل، تقول: وَيْحَكَ، وَوَيْحَ زيدٍ، وَوَيْحاً له، كأنَّك قلت ألْزَمَهُ الله وَيْحاً. (اللسان: ويح).

(٤) نَتَقَ الجَبَلَ: رَفَعَهُ مُزَعْزعاً فوقهم.

(٥) الظُّلة: المِظلَّة، وهي ما يُسْتظلُّ به من الشمس، أي يُسْتتر.

(٦) أدْخَلَهُ بالسَّيْف إلى الإسلام: أي عَنوةً، أو بالقُوَّة والقَهْر.

(٧) الكَرْهُ: ما أكْرَهَكَ غيرُك عليه، أي حملك. والمرادُ على غير رضاً منك.

(٨) أَمْضَى: أَنْفَذَ وقضَى.

(٩) أظَلَّهم العذاب: غَشِيَهم.

(١٠) سورة فصلت: الآيتان ٨٤، ٨٥.

(١١) سورة فصلت: الآية ٨٥.

بِيَدِ الله، يَهْدي مَنْ يَشاءُ ويَذَرُ[١] مَنْ يشاءُ في طُغْيانِهم[٢] يَعْمَهُون[٣]. كذلك قال إبراهيم عليه السلام[٤]: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، وقال عليه السلام[٥]: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، أي أنَّ الإيمانَ والإسلام بيَدك، وأنَّ عبادَةَ مَنْ عَبَدَ الأصْنَامَ بِيَدِكَ، فأنكَرْتُم ذلك، وجَعَلْتُموهُ مِلْكاً بأيديكم دونَ مشيئةِ الله عَزَّ وجَلَّ.

وقلتم في القَتْل إنه بِغَيْر أجَلٍ[٦]، وقد سَمَّاهُ الله لكم في كتابه، فقال ليحيى[٧]: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾، فلم يَمُتْ يحيى إلاَّ بالقَتْل، وهو مَوْتٌ كما ماتَ مَنْ قُتِلَ منهم شهيداً، أو قُتِلَ عَمْداً[٨]، أوْ قُتِلَ خَطأً[٩]، كَمَنْ مات بِمَرضٍ أو فَجْأةً، كلُّ ذلك مَوْتٌ بِأجَلٍ تَوفَّاهُ[١٠]، ورِزْق اسْتَكمَلَهُ، وأثرٍ بَلَغَهُ، ومَضْجَعٍ[١١] بَرَزَ إليه[١٢]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[١٣]، ولا تَمُوتُ نَفْسٌ ولها في الدنيا عُمْرُ ساعةٍ إلاَّ بَلَغَتْهُ[١٤]، ولا مَوْضِعُ قَدَمٍ إلاَّ وَطأتْهُ، ولا مِثْقالُ[١٥] حبةٍ مِنْ رِزْقٍ إلاَّ اسْتَكمَلتْهُ، ولا مَضْجَعٌ بحيث كان

---

(١) يَذَر: يدع ويترك.

(٢) طُغْيانهم: غُلُوّهم في كُفْرِهِم.

(٣) يَعْمَهُون: يَتَرَدَّدون ويتحيَّرون، أي لا يَهْتَدُونَ.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٣٥.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٨.

(٦) الأجل: غايةُ الوقتِ في المَوْت وحُلُولِ الدَّيْن ونَحْوِه، أو مُدَّةُ الشيء.

(٧) سورة مريم: الآية ١٥.

(٨) قُتِلَ عمداً: أي عن قَصْدٍ.

(٩) قُتِلَ خطأً: أي عن غيرِ قَصْدٍ.

(١٠) تَوَفَّاهُ: اسْتَوْفى مُدَّتَهُ، أي اسْتَتَمَّها واسْتَكْمَلها.

(١١) المَضْجَعُ: المَصْرَعُ.

(١٢) بَرَزَ إليه: خرج.

وهو يريد قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾. (سورة آل عمران: الآية ١٥٤).
ومعنى الآية لو تَخَلَّفْتُمْ في البُيُوتِ لخرجَ من حُتِّم عليه القَتْلُ إلى مكان مَصْرعِهِ فَقُتِلَ فيه. (البحر المحيط ٣: ٨٩).

(١٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٥.

(١٤) بَلَغَتْهُ: أدْركته.

(١٥) المثقال: الوَزْنُ. والمثقال في الأصل: بِمِقدارٌ من الوَزْنِ أيَّ شيءٍ كان من قليل أو كثير.

إلاَّ بَرَزَتْ إليه، يَصْدُقُ ذلك قَوْلُ الله عزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، فأخْبَرَ الله سبحانهُ بِعَذابهم بالقَتْلِ في الدنيا والآخرة بالنار، وهم أحياءٌ بِمَكَّة، وتقولون أنتم: إنهم قد كانوا مَلَكُوا رَدَّ عِلْم الله في العَذابَيْنِ اللذين أخْبَرَ الله ورَسُولهُ أنهما نَازِلان بهم[٢]. وقال تعالى[٣]: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾، يعني القَتْلَ يومَ بَدْرٍ، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٤]. فانظُرُوا إلى ما أرْداكُمْ فيه رأيكم، وكتاباً، سَبَقَ في عِلْمِهِ بِشَقائكم[٥]، إنْ لم يَرْحَمكُمْ، ثم قَوْلَ رسولِ الله ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على ثلاثةِ أعمالٍ: الجهادُ ماضٍ منذ يومِ بَعَثَ الله رسولَهُ إلى يومِ القيامة، فيه عِصَابةٌ من المؤمنين يُقاتلون الدَجَّالَ، ولا يَنْقُضُ ذلك جَوْرُ جائرٍ، ولا عَدْلُ مَنْ عَدَلَ. والثانيةُ أهْلُ التَّوْحِيدِ، لا تُكفِّروهم ولا تَشْهدُوا عليهم بِشِرْكٍ. والثالثةُ المقاديرُ كُلُّها خَيْرُها وشَرُّها مِنْ قَدَرِ الله». فَنَقَضْتُمْ من الإسلام جِهَادَهُ، ونَقَضْتُمْ شهادتكم على أمتكم بالكُفْرِ، وبَرِئْتُمْ منهم بِبِدْعتكم، وكَذَّبْتُم بالمقادير كلها، والآجال والأعمالِ والأَرْزَاقِ، فما بقيت في أيديكم خَصْلةٌ يَنْبني الإسلام عليها إلاَّ نَقَضْتُموها وخَرَجْتُمْ منها».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢.

(٢) نزل به العذاب: أصابه أو حَلَّ به.

(٣) سورة الحج: الآية ٩.

(٤) سورة الحج: الآية ٩.

(٥) الشقاء: الشدّة والعُسْر.